Structuralism Between Criticism and Ideology

Dr. Monzer shbani [*]
Abeer Afifi [**]

(Received 3 / 8 / 2023. Accepted 14 / 9 / 2023)

□ ABSTRACT □

This research deals with the nature of the transfer of real relations within the language system to these relations in their textual state, meaning that we will review the mechanisms of structural criticism of reality relations in their textual linguistic construction and try to identify how the internal and external linguistic relations appear in the literary text, and this in turn will lead us to what structuralism has done in creating a rupture between the literary components of the text and its real ones, so that structural criticism keeps the text as a basic unit that has its internal relations at the level of the language system without much concern for the real conditions of the text formation, and here the concept of the death of the author emerges.

Keywords; Structuralism , Criticism , Ideology

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

[*] **Associate Professor. Department of philosophy, faculty of arts humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria**
[**] **Postgraduate Student, Department of philosophy, faculty of arts humanities, Tishreen University , Lattakia , Syria**

البنيوية بين النقد والإيديولوجيا

د. منذر شباني*

عبير عفيفة**

(تاريخ الإيداع 3 / 8 / 2023. قبل للنشر في 14 / 9 / 2023)

□ ملخّص □

يتناول هذا البحث طبيعة انتقال العلاقات الواقعية داخل نظام اللغة إلى هذه العلاقات في حالتها النصية، بمعنى أننا سوف نستعرض آليات النقد البنيوي لعلاقات الواقع في تبنيونها اللغوي النصي ومحاولة الوقوف على الكيفية التي تبرز فيها العلاقات اللغوية الداخلية والخارجية في النص الأدبي، وهذا بدوره سوف يقودنا إلى ما قامت به البنيوية من إنشاء قطيعة بين مكونات النص الأدبية ومكوناته الواقعية، بحيث يبقي النقد البنيوي على النص كوحدة أساسية لها علاقاتها الداخلية على صعيد نظام اللغة دون أن يُعنى كثيراً للظروف الواقعية لتشكل النص، وهنا يبرز مفهوم موت المؤلف.

الكلمات المفتاحية: البنيوية، النقد، الايدلوجيا.

حقوق النشر : مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* أستاذ، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

** طالبة ماجستير ـ قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

مقدمة:

يتناول هذا البحث البعد الايديولوجي للبنيوية، فيتحدث عن طبيعة البنية، وتركزيها على ثنائية المعنى والمبنى، وتلك التحولات التي تجري بينهما، خصوصاً من خلال الدلالات اللغوية التي تفعل فعلها في جعل البنية موضوعاً منظماً، بما يجعل هذه البنية تأليف للظواهر المتماسكة فيما بينها، الأمر الذي يطرح مشكلة أولى وأساسية، وهي تلك التي تشير إلى علاقة البنية بالواقع، وبعد ذلك ناقش هذا البحث ما أطلقنا عليه القطيعة البنيوية بين النص ومكوناته الواقعية، وتحقيق استقلالية البنية أو النص الأدبي عن الواقع، بحيث لا يبقى من النص سوى الدلالات اللغوية، وأبرزنا هنا كيف يقوم التحليل البنيوي بدراسة علاقات النص الأدبي ومستوياته دون الاهتمام بالمنشأ الواقعي للنص، حيث يرفض المحللون البنيويون دراسة الأدب ضمن إطار العلاقات الواقعية والمحيط الخارجي للنص، والاكتفاء فقط بتعليل الظواهر الأدبية دون الاهتمام بالظواهر التاريخية أو الواقعية للنص، وهذا بدوره أي الحديث عن القطيعة بين النص ومكوناته الواقعية قد أفضى بنا إلى الحديث عن المكونات الإيديولوجية التي أخذت محلها داخل النص، واسقطت بالتالي المكونات الواقعية مما حوّل النص الأدبي إلى إيديولوجيا قائمة بذاتها استهدفت تصفية الأيديولوجيات الأخرى التي وقفت وراء إنتاج النص الأدبي ليتحول النص نفسه إلى إيديولوجيا، معتمدة فقط على الخاصية الأساسية للبنية، وهي خاصية الضبط الذاتي وخلق النظام البنيوي المغلق على نحو جعل النص الأدبي نصاً إيدلوجياً متمتعاً بتماسكه الداخلي وهادفاً إلى الحفاظ على هذا التماسك أكثر مما هو شرح للواقع وللتاريخ، مما يجعل من البنيوية نظرية في الإيديولوجيا أكثر منها منهجاً لتحليل النصوص ونقدها.

أهمية البحث وأهدافه:

تأتي أهمية البحث من أنه البعد الايديولوجي للبنيوية ويتعقب هذا البعد في المواقع التي تتخذها في ضوء ثنائية المعنى والمبنى وتلك التحولات التي تجري بينهما.

وبالتالي فإنه يهدف هذا البحث إلى تقصي آليات النقد البنيوي لعلاقات الواقع في تبنيونها اللغوي النصي ومحاولة الوقوف على الكيفية التي تبرز فيها العلاقات اللغوية الداخلية والخارجية في النص الأدبي، وأما الهدف الأكبر فهو البحث في البعد الايديولوجي ، ذلك أن كل بنية تحتاج إلى تعريف خاص بها بحسب ما تنطوي عليه هذه البنية من عناصر تدخل في ما بينها في علاقات داخلية قبل أن يخترقها النقد البنيوي

منهجية البحث:

لقد استعنا في هذا البحث على المنهج الوصفي متخذين بعين الاعتبار أننا قد نلجأ هنا وهناك إلى مناهج أخرى كمنهج النقدي التاريخي وغيره

أولاً: طبيعة النقد البنيوي.

تقوم البنية اساساً على ثنائية المعنى والمبنى، وتلك التحولات التي تجري بينهما، أما هذه التحولات ، فهي التي يمكن أن نطلق عليها الدلالة اللغوية، وأهم ما يميز البنية أنها موضوع منظم حيث يقوم هذا التنظيم على الوحدة الذاتية للبنية،

وبهذا تكون البنية عبارة عن تأليف للظواهر المتماسكة فيما بينها داخل هذه البنية، حيث تنشأ علاقات بين هذه الظواهر مما يؤدي إلى تحديد هذه العلاقات على نحو بنيوي"[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن عدم وجود تعريف موحد للبنية يجعلنا نضع يدنا على أولى الملاحظات المتعلقة بعلاقة البنية بالواقع، ذلك أن كل بنية تحتاج إلى تعريف خاص بها بحسب ما تنطوي عليه هذه البنية من عناصر تدخل في ما بينها في علاقات داخلية قبل أن يخترقها النقد البنيوي، أي أن ناك بنية داخلية تكون متماسكة وفقاً لطبيعة التراكيب الخاصة بعناصرها، ثم هناك فعل النقد البنيوي الذي يتدخل في العلاقة بين هذه العناصر ولا يبقى إذن من البنية هنا سوى التحولات التي تطرأ على هذه العلاقة بين العناصر، ولا يبقى إذن من البنية هنا سوى التحولات التي تطرأ على هذه العلاقة بين العناصر، ولهذا نجد أن جان بياجية يعرف البنية بأنها نسق من التحولات" يحتوي على قوانينهِ الخاصةِ، علمًا بأنَّ من شأنِ هذا النسقِ أن يظلَّ قائمًا ويزدادَ ثراءً بفضلِ الدور الذي تقومُ به هذه التحولاتُ نفسُها، دون أن يكونَ من شأنِ هذه التحولات أن تخرجَ عن حدودِ ذلك النسقِ أو أن تستعينَ بعناصرَ خارجية، وبإيجاز فالبنيةُ تتألفُ من ثلاثِ خصائصَ: هي الكليةُ والتحولاتُ والضبط الذاتي"[2] .

ومن هذا التعريف يمكننا أن نلاحظ أن البنية تختلف بحسب الحقول المعرفية التي توجد فيها هذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى فإن البنية في جميع هذه الحقول إنما تشكَّل نسقاً بحدين هما: النقد والهدف، فقد تتفق أشكال البنية المختلفة في شتى الحقول المعرفية من حيث الهدف، لكنها تختلف من حيث النقد، وهذا الاختلاف من حيث النقد هو ما يشير إلى تلك العلاقة بين عناصر البنية الداخلية وعلاقتها مع العناصر الخارجية، وهو ما يقود بدوره إلى اعتبار البنية جملة من التحولات الخارجية التي تصبح فيما بعد علاقات داخلية تقدم نفسها كبنية عقلية تسمح لبنية النص أن تكون قادرة على التوسع الداخلي بمعزل عن تلك التحولات الخارجية مما يعني أن البنية هنا تحقق استقلالها عن العلاقات الواقعية إلى الحد الذي يتم فيه استبدال علاقات الواقع بعلاقات البنية نفسها"[3].

ويمكن فهم هذه العلاقة بين عناصر البنية الداخلية وعناصر الواقع من خلال التركيز على خصائص البنية التي يذكرها أيضاً جان بياجيه، ومنها خاصية الشمول حيث تخضع البنية هنا لقوانين خاصة داخلية تسمح بظهور البنية ككيان واحد ومستقل، وهنا تنطبق هذه الخاصية على النصوص الأدبية عندما تقدم نفسها كنصوص مكتفية بذاتها، حيث يتعدى النص الأدبي الروابط التراكمية التي نجدها في علاقات الواقع ويكتفي النص هنا بالروابط الداخلية دون الاهتمام لروابط العلاقات الواقعية"[4]. وهذا الأمر ينطبق تحديداً على شمولية البنية بالمعنى الجشطالتي، كما يأتي على ذلك دوسوسير"[5].

ومن ناحية أخرى فإن التحولات التي تطال البنية تشير إلى أن هذه البنية لا تظل ثابتة، بل إنها دائماً في حالة تغير" وتأكيدًا لذلك ترى البنيويةُ أنَّ كلَّ نصٍّ يحتوي ضمنيًا على نشاطٍ داخلي، يجعل من كلِّ عنصرٍ فيه عُنصرًا بانيًا لغيرهِ

---

[1] - ابن منظور، العلاّمة أبي الفضل جمال الدين، لسان العرب، المجلد التاسع، ط1، دار صادر للنشر، بيروت، و إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص 72.

[2] - جان بياجه، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنه وبشير أويري، منشورات عويدات، بيروت، ط4، 1985م، ص 8

[3] - أحمد العشيري، الاتجاهات النقدية والأدبية الحديثة (دليل القارئ العام)، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، 2003م، ص 53. 54 .

[4] - إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2003م، ص 95.

[5] - جان بياجيه. البنيوية، مرجع سابق، ص10

ومبنيًّاً في الوقت ذاته، ولهذا فقد أخذت البنيويةُ هذه السمةَ بعينِ الاعتبارِ لتُحاصرَ تحوّلَ البنيةِ وما قد يعتريها من بعض التغيير[6].

وطالما أن البنية في حال التغير والتغيير المستمر، فإن ذلك يعني أنها تظل خاضعة للتغيرات الخارجية، أي عن تلك التي تعززها علاقات الواقع، وهذه العلاقات التي بدورها تتحل إلى علاقات البنية ذاتها، أي علاقات النص وفق حاجات علاقات النسق البنيوي أو كما يعبّر عن ذلك بعض الباحثين "هذه السمةَ تُعبِّرُ عن حقيقةٍ هامةٍ في البنيويةِ، وهي أنَّ البنيةَ لا يمكن أن تظلَّ في حالةِ سكونٍ مطلق، بل هي دائمًا تقبلُ من التغيّراتِ ما يتضمنُ مع الحاجاتِ المحددةِ من قِبل علاقاتِ النسقِ أو تعارضاته، فالأفكارُ التي يحتويها النصُ الأدبيُ مثلاً تُصبح بموجبِ هذا التحولِ سببًا لبزوغِ أفكارٍ جديدة"[7].

هكذا نجد أن البنية تبدأ بالاستقلال عن الواقع على الرغم من أنها تستند إلى علاقات، وذلك عندما تبدأ البنية بتنظيم نفسها، بحيث تمكن من إبقاء التماسك والوحدة داخل الأجزاء في ارتباطها مع الكل البنيوي، أي قوانين الكلية التي تحافظ على هذا التماسك بين الأجزاء في ارتباطها مع الكل البنيوي، أي قوانين الكلية التي تحافظ على هذا التماسك بين الأجزاء مما يعني أن البنية هنا تبدأ بتنظيم تحولاتها الداخلية، وهو ما يطلق عليه الباحثون اسم الانقلاب الذاتي، وهو تحولات البنية الداخليةَ لا تقودُ إلى أبعدَ من حدودها، وإنّما تُولّدُ دائمًا عناصرَ تنتمي إلى البنيةِ نفسِها، وعلى الرغم من انغلاقها هذا لا يُعني أن تتدرج ضمن بنيةٍ أخرى أوسعَ منها، دون أن تفقد خواصها الذاتية"[8] .

والخاصية الذاتية هنا تشير على نحو صريح إلى استقلال البنية عن الواقع، بل وأكثر من ذلك فإن هذه الخاصية تمهد لتعريف البنية على أساس العلاقات الداخلية، وهو ما أورده لوسيان سيف بأن" مفهوم البنية في أوسع معانيه يشير إلى " نظامٍ من علاقاتٍ داخليةٍ ثابتةٍ، يُحدد السماتِ الجوهريةَ لأيّ كيان، ويشكّل كلاً متكاملاً لا يمكن اختزاله إلى مجرّدِ حاصلِ مجموعِ عناصره، وبكلماتٍ أخرى يشير إلى نظامٍ يَحكُم هذه العناصرَ فيما يتعلّق بكيفيةِ وجودِها وقوانينِ تطوّرِها "[9] .

ولا يعود هنا الحديث يجري عن علاقة البنية بالواقع، بل يبدأ الحديث هنا من قبل البنيوين بالحديث عن العلاقة الداخلية للبنية، أي العلاقة بين الأجزاء والكل، أي أن البنية هنا تتحول إلى نظام تام يكتفي بنفسه فتتم هنا دراسة البنية ضمن ترابطها الداخلي بمعزل عن عناصر خارجية سواء كانت هذه العناصر تاريخية أم غير ذلك، وهو ما يركز عليه ليونارد جاكسون بأن" البنيويةَ هي " القيامُ بدراسةِ ظواهرَ مختلفةٍ كالمجتمعاتِ، والعقولِ، واللغاتِ، والأساطيرِ، بوصفِ كلٍّ منها نظامًا تامًا، أو كلاً مترابطًا، أي بوصفِها بنياتٍ، فتتمُ دراستُها من حيثُ أنساقُ ترابطِها الداخليةُ، لا من حيثُ هي مجوعاتٌ من الوحداتِ أو العناصرِ المنعزلةِ، ولا من حيثُ تعاقبُها التاريخي "[10].

ونجد أن هناك الكثير من النقاد العرب الذين تناولوا النقد الأدبي للنص ضمن هذا السياق، أي ضمن سياق قراءة البنية وتحليلها من خلال عناصرها الذاتية دون الاهتمام بالعلاقات الخارجية الواقعية، فهناك من النقاد العرب من يعرّف المنهج البنيوي بأنه" يعتزم الولوج إلى بنية النص الدلالية من خلال بنيته التركيبية "[11].

---

[6] - إبراهيم محمود خليل، المرجع السابق، ص 96،

[7] - إبراهيم محمود خليل، المرجع السابق، ص 96

1 – إبراهيم محمود خليل، المرجع السابق، ص 96. 97 .

3– المرجع نفسه، ص 542 وما بعدها .

1– المرجع نفسه، ص 542 .

[11] - عبد السلام المسدي، قضية البنيوية دراسة ونماذج، وزارة الثقافة، تونس، ط1، 1991م، ص 77 .

وكذلك موقف بعض هؤلاء الباحثين والنقاد من المنهج البنيوي في دراسته للأدب، إذ يرى هؤلاء" أن المنهج البنيوي يعتمد في دراسة الأدب على النظر في العمل الأدبي في حد ذاته بوصفه بناءً متكاملاً بعيدًا عن أية عوامل أخرى أي أن أصحاب هذا المنهج يعكفون من خلال اللغة على استخلاص الوحدات الوظيفية الأساسية التي تحرك العمل الأدبي"[12].

وانطلاقاً من هذه الخاصية الذاتية للبنية، فإن الكثير من الباحثين كانوا قد نظروا إلى البنيوية في الأدب على أنها" طريقة وصفية في قراءة النص الأدبي تستند إلى خطوتين أساسيتين وهما : التفكيك والتركيب، كما إنها لا تهتم بالمضمون المباشر، بل تركز عل شكل المضمون وعناصره وبناه التي تشكل نسقيه النص في اختلافاته وتآلفاته[13].

يمكن أن نقول هنا أن علاقات البنية الداخلية تفرض نفسها على آلية تحليل هذه البنية، والتناول البنيوي لأي نص لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار هذه العلاقات الداخلية على مستوى تماسكها سواء بين الكل والجزء أو ترابط البنية داخلياً دون الاهتمام للسياقات الخارجية الواقعية أو التاريخية.

ثانياً: البنيوية من علاقات الواقع إلى النص.

يمكننا أن نتلمس مفهوم القطيعة بين النص والمكونات الواقعية عندما نتحدث عن مستويات النقد البنيوي الأدبي، وقد بدأ التفكير بإمكانية تحقيق هذه القطيعة مع صدور كتاب رومان انجادرن الذي يتحدث عن العمل الفني الأدبي، حيث تضمنت أعماله إشارة إلى استقلال البنية أو النص الأدبي عن الواقع إلى درجة القطيعة مع هذه المكونات الواقعية، وخصوصاً القطيعة مع المؤثرات النفسية والأفكار المثالية والاهتمام فقط بالجسم اللغوي للعمل الأدبي"[14].

ولا يبقى من النص الأدبي سوى الدلالات اللغوية التي نجدها في هذا الجسم اللغوي، فنجد أن أول مستوى من مستويات النقد البنيوي للنص الأدبي يهتم للناحية الصوتية والحسية للغة، حيث يكون المستوى الصوتي الحسي حاملاً للقيم اللغوية الذي يقود بدوره إلى المستوى الآخر وهو مستوى الدلالة اللغوية الذي يمكن اعتباره أساسي العمل الأدبي، فلا تعود البنية هنا، أي بنية النص سوى جملة هذه الدلالات اللغوية، وهنا تبدأ القطيعة بين النص والمكونات الواقعية بحيث يصل النقاد إلى تقسميات لهذه المستويات يمكن إجمالها بالنقاط التالية: **أولاً : المستوى الصوتي**، حيث تدرس فيه الحروف ورمزيتها وتكويناتها الموسيقية من نبر وتنغيم وإيقاع، ويتم معرفته من خلال الصوتيات .

ثانيًا : المستوى الصرفي، وتُدرس فيه الوحدات الصرفية ووظيفتها في التكوين اللغوي والأدبي خاصة، وهذا المستوى يحتاج إلى كل ما يُبنى عليه علم الصرف .

ثالثًا : المستوى المُعجمي، وتُدرس فيه الكلمات لمعرفة خصائصها الحسية والتجريدية والحيوية والمستوى الأسلوبي لها، بمعنى أنه يبحث في دلالة الكلمات اللغوية .

رابعًا : المستوى النَحوي، وتُدرس فيه تأليف وتركيب الجمل وطُرق تكوينها وخصائصها الدلالية والجمالية، بمعنى أنه يبحث في بناء الجملة سواء أكانت فعلية أو أسمية أو شبة جملة .

خامسًا : مستوى القول، وذلك لتحليل تراكيب الجمل الكبرى؛ لمعرفة خصائصها الأساسية والثانوية .

---

[12] - نبيلة إبراهيم، نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، مكتبة غريب، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ص 44 .

2- جميل حمداوي، مقال بعنوان: ما البنيوية، دارسات وأبحاث أدبية، موقع على الإنترنت، http://www.rezgar.com

[14] -صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الأفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997م .ص 319 .

سادسًا : المستوى الدلالي، وذلك يشغل بتحليل المعاني المباشرة وغير المباشرة والصورة المتصلة بالأنظمة الخارجية عن حدود اللغة والتي ترتبط بعلوم النفس والاجتماع وتمارس وظيفتها على درجات في الأدب والشعر .

سابعًا : المستوى الرمزي، وتقوم فيه المستويات السابقة بدور الدال الجديد الذي ينتج مدلولاً أدبيًا جديدًا يقود بدوره إلى المعنى الثاني أو ما يُسمى باللغة (داخل اللغة)"[15] .

والملاحظ أن التحليل البنيوي هنا يقوم على دراسة علاقة هذه المستويات فيما بينها دون الاهتمام بالمنشأ الواقعي الذي هو مصدر النص،" فالمحلل البنيوي يقوم بدراسة جميع هذه المستويات في نفسها أولاً، وعلاقتها المتبادلة وتوافقاتها والتداعي الحر فيما بينها والأنشطة المتمثلة فيها، وثانيًا هو ما يحدد في نهاية الأمر البنية الأدبية المتكاملة"[16].

وانطلاقاً من هذا الفهم للبنية ودراسة مستوياتها دراسة داخلية، فإن البحث أكثر في طبيعة التحليل البنيوي يجعلنا نقف على موقف البنيويين من الأدب عموماً، والنقد الفكري له خصوصاً، فنجد أن المحللون البنيويون يرفضون دراسة الأدب في إطار العلاقات الواقعية والمحيط الخارجي، حيث إن مثل هذه الدراسة للأدب تكتفي فقط بتعليل الظواهر الأدبية والكشف عن أسبابها الاجتماعية والتاريخية، ولا تصل إلى عمق الأثر الأدبي وتبقى على السطح، أي تبقى في مجال العوامل الخارجية، فالبنيويون يريدون فقط التركيز على النص من الداخل دون أية افتراضات مسبقة ودون الاهتمام على الإطلاق بالواقع الاجتماعي او التاريخي أو بالوضع النفسي للأديب، ذلك أن البنيويين يرون في العمل الأدبي نوعاً من الوجود الخاص الذي يتمتع بنظام مستقل تمام الاستقلال عن الواقع، وبالتالي فلا بد من أجل دراسة النص الأدبي دراسة الأدب بالاستناد إلى هذه القطيعة"[17].

وحتى عندما يهتم المحلل البنيوي بالمكونات الواقعية، فإنه يطالب هذه المكونات أن تكون تابعة للظواهر اللغوية في النص، وهنا يمكننا أن نعلق على ما تفعله البنيوية في النص الأدبي بالقول إن هذه البنيوية تجرد النص من كل مقدراته ومكوناته الأساسية وحتى من دور المؤلف مما يجعل من البنيوية نظرية تعادي التاريخ والواقع دون أن تقدم مبرراتها لهذا العداء كما أن البنيوية في اهتمامها بشبكة العلاقات الداخلية للنص توجه النص نفسه إلى مقاصد ربما لم يكن بينها، أي أنها تحاول أن تقول في النص ما تريده هي، لا ما يريده النص أو المؤلف وبالرغم من أن التحليل البنيوي يحاول الوقوف على الأثر الأدبي مميزاً نفسه عن بقية المناهج النقدية الأخرى، فإننا مع ذلك نجد أن البنيوية في عملها هذا تحاول احتكار النص وتحويله إلى مجرد نظام داخلي أو بنية نصية فقط لا غير مما يسقط الكثير من العناصر الهامة في تكوين الأدب والنص الأدبي، وقد أبرز ذلك كل من" بارت وتودوروف، وهما من أبرز روّاد المنهج البنيوي أن هذا التعرف على بنية النص مقصود لذاته؛ لأن عقلانية النظام الذي يتحكم في عناصر النص، غدت بديلاً عن عقلانية الشرح والتحليل".

ومن جهة أخرى، فإن البنيويين هم أيضاً ينطلقون من مسلمات دون أن يبرهنوا عليها وهي اعتبار النص الأدبي نصاً مستقلاً عن الواقع وعن الحياة وعن المجتمع وعن الظروف المحيطة بالأديب، فلا يعود الأدب سوى الأدب من أجل

---

[15] - فائق مصطفى وعبد الرضا، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، وزارة التعليم العالي، الموصل، الطبعة الأولى، 1989م ، ص 183 وما بعدها

2- وهذا يقودنا إلى الفرق بين الشكلية (مدرسة براغ) وبين البنيوية، حيثُ أن البنية المتكاملة في الشكلية تتمثل في تضافر الوحدات الجزئية وعناصر الكتابة الأدبية، وتلاحم هذه العناصر وتلك الوحدات ونموها حتى تكون البنية الكلية، بينما البنيوية فالبنية عندها تتمثل في تصورها خارج العمل الأدبي، وهي تتحقق في النص على نحو غير مكشوف بحيث تطلب من المحلل البنيوي استكشافها .

[17] - شكري الماضي، في نظرية الأدب، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1986م، ص 182

ذاته لا من أجل تقديم وظيفة اجتماعية أو إنسانية لهذا يسعى البنيويون إلى تخليص النص من الأبعاد الاجتماعية والتاريخية ولا يبقى من النص سوى المستويات التي أتينا عليها وكأن العمل الأدبي ليس سوى جملة من التشابهات والتعارضات والتقابلات تظهرها المستويات اللغوية والصوتية والتراكيب الأدبية والجمل والدلالات اللغوية فقط لا غير، مما يسمح لنا بالقول أن البنيوية تسعى جاهدة إلى اختزال النص الأدبي بحيث لا يبقى منه سوى هذه العلاقات الداخلية مما يمكن البنيويين من جعل القارئ هو الكائن الجديد للنص، وبهذا الشكل ينتهي الواقع وتظل البنية كما ينتهي المؤلف ويظل القارئ، وهذا ما أتى عليه بعض البنيويين الذي يرون" بأن القارئ ليس ذاتًا، إنه مجموعة من المواصفات التي تشكلت من خلال قراءته السابقة وبالتالي فإن قراءته للنص ورد فعله إزاء النص تتحدد بتلك القراءات، وبما أن هناك قرّاءً عديدين فإن هناك قراءات متعددة للنص الواحد . ومعنى هذا بأن هؤلاء القرّاء يقومون (بترجمة) النص وهذا كما يرى بارت"[18].

يتوجه النقد البنيوي إلى تأكيد القطيعة البنيوية إلى النص ومكونات الواقع، وهو بذلك يحرم النص الأدبي من جملة من العلاقات الاجتماعية والإنسانية والنفسية وكأن البنيوية بذلك تريد أن تترك النص بنية مغلقة يمكن للقارئ أن يعيد كتابته من جديد وفقا لقدراته على كشف العلاقات الداخلية للنص والاهتمام فقط بمستويات اللغة ومنها إلى مستويات فهم النص ضمن إطار تمثيل النص لنفسه بنفسه وعزل النص نهائياً عن تلك المكونات.

ثالثاً: دراسة النص بنيويا وايديولوجيا.

إذا كنا قد تحدثنا عن القطيعة بين مكونات النص أو البنية والمكونات الواقعية، فإن هذا يمهد أمامنا الطريق من أجل دراسة كيفية تحول المكونات الأدبية للنص إلى إيديولوجيا، ونحن هنا لا نتحدث عن إيديولوجيا بعينها، بل إننا نتحدث عن الإيديولوجيا العامة والتي تتضمن كما يرى باحثون" عناصر عامة محددة أو بنى تؤثر كلها أو بعضها، في مرحلة تاريخية معينة، على خصائص صيغة الإنتاج الأدبية، ويمكن تمييز هذه البنى العامة، غالباً، إلى بنى لغوية وسياسية وثقافية وسوف يصل بين البنى السابقة طقم من اللا تحديدات المعقدة التي تفتقر إلى التعيين التاريخي"[19].

في هذا السياق تبدو البنية بمكوناتها الأدبية وكأنها تعمل ضمن هذه البنى التي نجدها في الإيديولوجيا العامة، والعامل الحاسم هنا هو اللغة، إذ يمكننا القول إن النص الأدبي" لا يتصل بالإيديولوجيا العامة فقط بوساطة الكيفية التي ينشر بها اللغة بل بوساطة اللغة المحددة التي ينشرها أيضاً، إن اللغة التي تعد من بين أكثر التداولات اليومية براءة وتلقائية، هي في الواقع أرض محرجة، مصدعة ومقسمة بوساطة زلازل التاريخ السياسي"[20].

إلا أن الحديث عن الإيديولوجيا هنا بوصفها مرتبطة بأحداث وأهداف سياسية ليست مجال البحث هنا، فنحن سنهتم بكيفية تمظهر البنية بوصفها ايديولوجيا طالما أنها قد حققت استقلالها عن الواقع وأحدثت القطيعة بين مكوناتها وبين مكونات الواقع، أي أننا نريد هنا أن نخرج من الطرح الذي يربط بين النص الأدبي والأيديولوجيا على أساس أن النص الأدبي هو مرآة إيديولوجيا معينة كما يرى نقاد الأدب الماركسيون عندما يربط هؤلاء بين صيغة الإنتاج الرأسمالي وصيغة الإنتاج الأدبي مع أنهم قد أدركوا مسألة هامة، وهي أن النص يمتلك حياته الخاصة وأن حياة النص لها" معنى من المعاني الأدبية وليست نفضاً مطبغياً للروح في لحم الإنتاج، ليس النص هو الإنتاج في سكونه ولا إنتاج هو النص

[18] - ويرى بارت بأن لا توجد إلا قيمتان أدبيتان وهما: القراءة والكتابة، أو الكتابة القراءة.
[19] - ايج ايجلتون تيري، النقد والايديولوجيا، ت: فخري صالح، عمان، 1992، ص71.
[20] - المرجع نفسه، ص71

في حركته ولا يمكن القبض على العلاقة بينهما باعتبارهما علاقة تضاد ثنائية بسيطة(سكون/ حركة، روح/ جسد، جوهر/ وجود) وكأن الظاهرتين كلتيهما كانت لحظتين من لحظت واقع واحد وتمفصلات بينة لوحدة محتجبة"[21].

هاهنا يصل النص إلى أن يتحول هو ذاته إلى أيديولوجيا، طالما أنه امتلك حياته الخاصة، وطالما أن النقد البنيوي كما رأينا يعزل النص عن ملحقاته الواقعية وحتى عن مؤلفه الشخصي ويبدأ النص بالسير في اتجاه معاكس للاتجاه المعروف، أي بدلاً من أن ينطلق النقد البنيوي من الواقع إلى النص، فإنه على العكس من ذلك يأخذ بالتحرك من النص إلى الواقع، لقد أصبح النص نفسه إيديولوجيا، هنا تختفي الحركة الإنتاجية الواقعية للنص ويبدأ النص بالظهور كحركة منتجة للواقع إذ يغيب أي ظهور للواقع في النص كما تغيب الفواصل بين النص والواقع بحيث " تلمع فكرة الانتقال من النص إلى الإنتاج إلى كونها وقائع متطابقة وقائمة، قريباً من بعضها البعض، في حقل واحد بعينه، ولا مفر من الادعاء، بشكل أكثر تهذيباً، أن عملية المرور من ظاهرة إلى أخرى معقدة وصعبة– وإن العلاقة محرفة ومنكسرة وأكثر من أن تكون مباشرة، ولا يستطيع المرء أن يتخلص من نماذج نظرية الانعكاس عن طريق توهم مرآة أكثر تعقيداً، كما لا يدور السؤال حول تمثيل الإنتاج الدرامي للنص وقيماه بدوره، إذ إن مجاز التمثيل هو نفسه(شيء) خادع ومضلل لأنه يقترح علينا محاكاة بسيطة لوجود قبلي"[22]

بهذا المعنى يصبح النص هو وحده المتمتع بالوجود والذي يعود ليفرض هذا الوجود على الحياة الواقعية، وكأنه بذلك يستبدل حياة الواقع بحياة النص، فإنتاج النص من خلال الواقع لا يعود ذو أهمية هنا بل إن الإيديولوجيا التي أدت إلى إنتاج هذا النص الأدبي أو ذاك تتقلص حيال الإنتاج الإيديولوجيا الذي يمتلكه النص، وعلى هذا النحو استبدال إيديولوجيا النص بايديولوجيا الواقع، فالنص هنا" هو الخريطة التي تبين التضاريس الواقعية للإنتاج، أو بوصفه الشروط المجردة التي تمكننا من الإنتاج، أو البنية العميقة لكلام الإنتاج المحتمل، يلغي هذا المفهوم المشكلة بالغائه مادية النص محيلاً إياه إلى حضور شبحي ضيئل مرتداً بذلك إلى الثنائية المفهومية(الماهية/ الوجود) التي تلتحق بالفهم الخاطئ المقابل الذي يقدس النص ويتعامل معه بوله"[23].

ويبدأ النص بهذا الشكل بتشكيل الأيديولوجيا الخاصة به، إنه أي النص هنا ينتج نفسه كأيديولوجيا باعتبار أن البنية الأدبية قد أصبحت أكثر طغياناً من الأيديولوجيا التي أوجدت النص مما يمكننا من الحديث عن إيديولوجيا البنية، ذلك أن" النص الأدبي ينتج إيديولوجيا(وهو نفسه إنتاج) بطريقة مماثلة لعمليات الإنتاج الدرامي للنص الدرامي، وكما تكشف علاقة الإنتاج الدرامي بالنص علاقات النص الداخلية بال" عالم" الذي يكمن خلفه وذلك بتشكيله عن شيء من علاقاته بالتاريخ"[24].

ومعنى ذلك أن النقد البنيوي هنا لا يعود مهتماً لقضايا التاريخ بقدر ما يكون مهتماً بخلق أيديولوجيا البنية أو أيديولوجيا النص، وإلى أي حد يمكن اعتبار ايديولوجيا البنية هي الايديولوجيا الزائفة، أو الوعي الزائف الذي يحل محل الوعي التاريخي الذي أنتج النص نفسه، بحيث تشير ايديولوجيا البنية هنا إلى" وعي زائف يعترض سبيل الإدراك التاريخي الصحيح، إلى ستارة قائمة بين البشر وتاريخهم، فهذا، بحد ذاته، مفهوم تبسيطي يفشل في القبض على الايديولوجية بوصفها تشكيلاً معقداً متضمنا في صلب النص يسمح، عن طريق إدراج الأفراد في التاريخ بصور مختلفة، بأنواع متعددة ودرجات مختلفة من الاندراج في التاريخ، إنه يفشل، في الحقيقة، في القبض على حقيقة كون بعض

[21] - المرجع نفسه، ص84
[22] - المرجع نفسه، ص85
[23] - المرجع نفسه، ص86
[24] - المرجع نفسه، ص88

الايديولوجيات ومستويات الايديولوجيا أكثر زيفاً من أخرى، ليست الايديولوجيا حلم البنية التحتية المزعج، فهي إذ تقوم بإنتاج الواقع بصورة مشوهة لا تحمل، بالرغم من ذلك، عناصر الواقع ضمنها"[25].

وبناء عليه فإن تحول النص الأدبي إلى أيديولوجيا، فإن أول مل ينجم عن ذلك ليس فقط استبدال ايديولوجيا الواقع، بل جعل هذه الأيديولوجيا بمثابة غياب الواقع وحضور النص الأدبي، هذا الحضور الذي يطغى على الواقع نهائياً، وهنا أيضاً تعود اللغة لتمثل صلب الايديولوجيا، ايديولوجيا النص، ذلك أنه" لا يمكن فهم النص بوصفه دالاً، بصورة مباشرة، على التاريخ الواقعي لأنه من غير الممكن التصور أن معنى الكلمة شيء مرتبط بها وملازم لها. تدل اللغة، من بين الأشياء جميعاً، على أشياء، ولكنها لا تفعل ذلك بإقامة علاقة بسيطة وكأن الكلمة والشيء يوجدان متلاصقين مثل قطبين ينتظران أن يصلهما التيار الكهربائي ببعضهما، قد يتحدث النص، بصورة طبيعية، عن التاريخ الواقعي، عن نابليون أو الكارتية، ولكن النص حتى لو حافظ على الدقة التاريخية التجريبية، فإنه يتعامل – مع التاريخ– تعاملاً تخييلياً ويعالج المعطيات التاريخية استناداً إلى قوانين انتاج النص"[26] .

وهكذا تختفي المكونات الأدبية لتحل محلها المكونات الايديولوجية، ويبدأ النص بممارسة خيانة الواقع في سبيل تأكيد أيديولوجيا النص الأدبي، حيث تسود الشعائر والخطابات محل الحقيقة ويصبح النص الأدبي ايديولوجيا جديدة تعيس وتستمر بفضل طمسها للحقيقة التاريخية والواقعية، ذلك أنه" ليست هذه الشعائر والخطابات مجرد فضاءات شاغرة هُجرت بسبب الانصراف عما هو اقعي، مامن شيء غير حقيقي فيما يتعلق بالصراعات الايديولوجية العنيفة التي تشفرها تلك الشعائر والخطابات، ولأن الايديولوجي" واقعي – حقيقي"، إن لم يكن بالمعنى الأكثر قوة في هذا المجال، فليس من الضروري بالنسبة له أن يخضع لتبعيد– ذاتي شكلي شبه علمي لكن يلمع إلى التاريخ"[27].

وهذا يعني أن مكونات النص الايديولوجية تفرض نفسها على الواقع إلى حد كبير، ذلك أن التاريخ الحقيقي يغيب في النص، وكما يرى باحثون فإن" التاريخ الواقعي حاضر في النص، لكنه حاضر بصورة مقنعة، وإن مهمة الناقد هي نزع القناع عن وجهه– بل يمكن القول– إن التاريخ " حاضر" في النص في صورة غياب مزدوج، لا يتخذ النص الواقعي هدفاً له بل بعض المعاني التي يحيا بها الواقع نفسه، تصبح الايديولوجية بنية مهيمنة تحدد خصائص مكونات " واقع زائف" بعينه وتعمل على تنظيمها"[28].

من كل ما تقم يمكننا إذن أن نكشف عن الوجه الأيديولوجي للبنيوية التي تسعى دوماً بعد أن تخلص النص من علاقاته الواقعية والتاريخية إلى جعل البنية تحل محل كل من التاريخ والواقع لتغدو بنية النص الأدبي وكأنها ايديولوجيا مكتفية بذاتها، أي أن تصبح أيديولوجيا مهيمنة تحدد خصائص الواقع وتعمل على تنظيمها محدثة بذلك انقلاباً للعملية التاريخية الواقعية.

[25] - المرجع نفسه، ص89
[26] - المرجع نفسه، ص90
[27] - المرجع نفسه، ص91.
[28] - المرجع نفسه، ص92

الاستنتاجات والتوصيات:

لقد انتهى هذا البحث إلى جملة من النتائج يمكن أن نجملها بما يلي:

1. لا يهتم النقد البنيوي بعلاقة النص بالواقع، بقدر ما يهتم بدراسة العلاقة الدلالية بين المعنى والمبنى، وقراءة التحولات فيما بينها مع ضرورة الحفاظ على تماسك البنية مهما كانت هذه التحولات.

2. تسعى البنيوية دوماً إلى خلق قطيعة بين النص الأدبي ومكوناته، فالأمر الهام بالنسبة للنقد البنيوي إنما يتمثل في جعل النص الأدبي نصاً مغرقاً في الأدبية من خلال علاقاته الداخلية أكثر من البحث في تفسير النص الأدبي للوقائع والظواهر التاريخية.

3. تسعى البنيوية إلى إقامة علاقات النص بوصفها قادرة على الحلول محل علاقات الواقع من خلال تضمين النص الأدبي مكونات إيديولوجية ذاتية، أي خلق إيديولوجيا النص الأدبي والاستعاضة بها عن كل أشكال الإيديولوجيا الأخرى.

المصادر والمراجع:

إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2003م.

ابن منظور، العلاّمة أبي الفضل جمال الدين، لسان العرب، المجلد التاسع، ط1، دار صادر للنشر، بيروت،د.ت.

محمد العشيري، الاتجاهات النقدية والأدبية الحديثة (دليل القارئ العام)، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، 2003.

ايج ايجلتون تيري، النقد والايديولوجيا، ت: فخري صالح، عمان، 1992.

جان بياجه، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط4، 1985م.

جميل حمداوي، مقال بعنوان: ما البنيوية، دارسات وأبحاث أدبية، موقع على الإنترنت، http://www.rezgar.com.

حسين الواد. قراءات في مناهج الدراسات الأدبية، دار سراس للنشر، تونس، 1985.

شكري الماضي، في نظرية الأدب، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1986م.

صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الأفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997.

عبد السلام المسدي، قضية البنيوية دراسة ونماذج، وزارة الثقافة، تونس، ط1، 1991م.

فائق مصطفى وعبد الرضا، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، وزارة التعليم العالي، الموصل، الطبعة الأولى، 1989م .

فردينان دوسوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ت. يوسف غازي، مجيد النصر، دار النعمان للثقافة، لبنان.

نبيلة إبراهيم، نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، مكتبة غريب، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

References

1. Ibrahim Mahmoud Khalil, Modern Literary Criticism from Simulation to Deconstruction, Dar al-Massira for Publishing & Distribution, ed.1, 2003.
2. Ibn Manzur , Al-Allama Abi-L-Fadl Jamal Eddine, Lisan al-Arab, Volume IX, ed.1, Dar Sadir for Publishing, Beirut , D.T.
3. Mahmoud Al-Ashiri, Criticism and Literary Modern Trends, A General Reader Guide, Merit for Publication & Information, Cairo, 2003.
4. Eagleton Terry, Criticism and Ideology, tr. Fakhri Saleh, Amman, 1992.

5. Jean Piaget, Structuralism, tr.Aref Maimana & Bashir Obri, Oweidat's Publications, Beirut , Ed.4, 1985.
6. Jamil Hamdawi, An Article : What is Structuralism, Literary Studies & Research, Internet Website, http://www.rezgar.com.
7. Hussein El-Wad , Readings in Literary Studies Methods, Dar Ceras for Publication, Tunisia , 1985.
8. Shukri Al-Madi, In Literary Theory, Dar AL-Hadatha , Beirut , ed.1, 1986.
9. Salah Fadl, Contemporary Criticism Methods, Dar Al-Afak Al-Arabia, Cairo, ed.1, 1997.
10. Abdul-Salam Al-Masdi, The Issue of Structuralism Study & Models, Ministry of Culture, Tunisia, ed.1, 1991.
11. Fa'eq Mustafa & Abdul-Reda, In Modern Theoretical Criticism: Principles and Applies, Ministry of Higher Education, Al-Mosel, ed.1, 1989.
12. Ferdinand De Saussure, Lectures on General Linguistics, tr. Youssef Ghazi, Magid Al-Nasr, Dar Al-Numan for Culture, Lebanon.
13. Nabila Ibrahim, Criticism of The Modern Novel from The Linguistic Studies' point of view, Gharib's Library , Cairo, (D.T).